

ان هذا البيان يعلن حقوق المواطن ، وسيادة الامة ، كما لم يعلنها بيان الاستقلال الاميركي . وتبعت هذا البيان بيانات . فقد اعلن سنة ١٧٩٠ ان الثورة تدين كل حروب الغزو والاستعمار (٩) . وبحث المجلس الوطني في الثامن عشر من ايار (مايو) سنة ١٧٩٠ مسودة بيان دمج جزئيا في مرسوم السابع والعشرين من الشهر نفسه وفي دستور سنة ١٧٩١ جاء فيه : « ان الشعوب والدول ، باعتبارها افرادا ، تتمتع بنفس الحقوق الطبيعية ، وتخضع لنفس قواعد العدالة » (المادة الثانية) . وجاء في دستور سنة ١٧٩١ : « ان الامة الفرنسية تندد بكل حروب الغزو ، وسوف لا تستخدم قواتها أبدا ضد حرية أي شعب » (١٠) .

وهكذا اكدت الثورة الفرنسية حقوق الافراد وحقوق الامم . واكدت للامم حقوق الافراد في الحرية والمساواة والاخاء . ولكنها اكدت الى جانب ذلك وحدة فرنسا غير القابلة للانقسام ولذلك قرر المؤتمر الوطني المنعقد في ١٧٩٢/٩/٢٥ ان « الجمهورية الفرنسية واحدة غير قابلة للانقسام » . كما قرر في ١٧٩٢/١٢/١٦ : « حكم الموت ضد كل من يحاول : أن يمس وحدة الجمهورية الفرنسية أو أن يقتطع من صلبها اجزاء ليلحقها بأرض اجنبية » (١١) .

واذا كان للمواطنين حق اختيار حكومتهم واسقاطها ، فان من حقهم ان ينفصلوا عنها ، وأن ينتموا الى دولة أخرى . فالسيادة ليست لامة دون أخرى ، والامم متساوية ، ولذلك فانها تملك الحقوق ذاتها . وعندما طرح نائب من الراين الادنى على المؤتمر الوطني الذي خلف الجمعية التشريعية في أواخر سنة ١٧٩٢ سؤالا حول موقف فرنسا من حماية مدينة ماينانس Mayence صعد مارا الى المنبر قائلا : « انكم باعلانكم سيادة الامة الفرنسية ، فانكم تعترفون بالتالي بسيادة جميع الامم الأخرى . لقد حررتكم جيرانكم من الطغيان ، فلا تتخلوا عنهم حين يرتمون في احضانكم » (١٢) .

وشهدت اوروبه بعد الثورة الفرنسية صراعا دمويا طويلا بين اباطرة اوروبه من جهة ، وبين اباطرة اوروبه وشعوبها من جهة أخرى . فلم تمض سنوات على الثورة الفرنسية حتى كانت جيوشها تغزو اوروبه ، وتشتبك لا مع الاباطرة فحسب كما هي الحال مع بريطانيا والنمسا وروسيا بل مع الشعوب ايضا كما هي الحال مع اسبانيا وبلجيكا والمجر وبروسيا . وما تلبث الولايات المتحدة ان تؤيد حرب الاستقلال في اميركا الجنوبية ، مؤيدة « شرعية انفصالها » .

وعندما هب الشعب اليوناني مناضلا من أجل استقلاله أيده الرأي العام الأوروبي ، وسانده مفكرون كبار من مثل شاتوبريان ولورد بايرون . وكان حق الشعب « . . . في أن يقيم لنفسه اطاره الفردي الذي يتمشى مع ارادة حياته الجماعية » . . . « من المبادئ الحيوية التي تحرك حرب تحرير اليونانيين والاحلاف التي تساند قضيتهم » (١٣) . وقامت ثورات ١٨٤٨ في اوروبه فهزت العروش والاباطرة ، وغرقت الدساتير ، ولكنها لم تغير من تكوين اوروبه القومي .

ولذلك ظل مفكرو اوروبه وقادة الحركات القومية يطرحون قضية حق الشعوب باستقلالها ، وتعود فرنسا بسنة ١٨٤٨ الى اعلاء صوتها . ان لا مارتين وزير الخارجية يؤكد في بيان خاص : « اما وساعة ائبفاق بعض القوميات في اوروبه ، او في غيرها ، قد دقتها العناية الالهية ، فانه اذا عانت سويسرا حليفتنا المخلصة الضغط أو التهديد ، واذا تعرضت الدويلات الايطالية المستقلة للغزو ، واذا اقيمت العقبات او القيود في وجه تطورها الداخلي ، واذا ما أنكر عليها أحد ، بقوة السلاح ، حقها في أن تتحالف فيما بينها من أجل « اقامة وطن ايطالي » ، فان الجمهورية الفرنسية تجد من حقها ان تتسلح لتحمي هذه « الحركات الشرعية » حركات نمو الشعوب وحركات قومياتها » .